الحادث
عن الجريمة ؟!

● ثناء رستم

الخازندار بشبرا فى بداية المواجهات العنيفة ما بين الحكومة وتنظيمى الجهاد والجماعة الإسلامية..

وإذا كان موقف الجماعة الإسلامية أصبح محدداً لدى رجال الأمن بعد إعلانهم نبذ العنف تماماً بمبادرتهم الشهيرة والإفراج عن عدد من قياداتهم يمارسون حياتهم بشكل أقرب إلى الطبيعى الآن ومع إلقاء القبض وتصفية عناصر وقيادات تنظيم الجهاد التى مازالت تبحث عن تسوية تلحق بها بقيادات الجماعة الإسلامية ويعوزها القيادة التى يجتمعون أسفل عباءتها لتحديد شكل مبادرتهم التى يسعون إليها.. فهل هذه النتائج تدعونا إلى التساؤل عن ظهور جيل جديد من الأصوليين الراديكاليين إلى جانب أننا لن نغفل أبداً كل الضغوط الخارجية التى قد تصيب البعض بحالة من التصرفات الانفعالية غير المحسوبة على الإطلاق.

ولذلك استمعنا إلى **اللواء فؤاد علام خبير الإرهاب وصاحب تجربة كبيرة فى التعامل مع الجماعات الإسلامية..** والذى أدى إليه ـ على حد قوله ـ الاحتقان الموجود فى المنطقة والسياسات الدولية التى ترفع حرارة المنطقة وتزيد من الضغوط النفسية على الشعوب العربية والإسلامية بصفة عامة مما قد يفرز مجموعات غير محسوبة تنفذ مثل هذا العمل الأخير خاصة أننا نعيش فى مرحلة صعبة يتكون فيها شعور بالرفض لكل ما هو أمريكى نتيجة الممارسات الخاطئة التى تحدث فى العراق وأفغانستان إلى جانب الدعم الأعمى للسياسات الإسرائيلية المرفوضة مع كل هذا الشعور تتولد حالة من الحقد ينصب على السائحين الأمريكيين أو الأجانب بصفة عامة.

ورغم أن الحادث الأخير يحمل بصمات العمل البدائى إلا أننا لا يمكن أن نقلل من العمل نفسه ومما يبدو من الشكل الأولى للحادث أن القائم عليه ضعيف من الناحية الفنية ورغم ذلك لابد أن نضع فى اعتبارنا أن من يقدم على هذه الخطوة يستطيع تطوير نفسه فى يوم ما رغم ضعف إمكانياتهم الفنية والمادية حاليا.

ونلاحظ أن فى كل حادث يقع فى أى منطقة يشار إلى ارتباطه بتنظيم القاعدة بشكل ما، الذى أرى من وجهة نظرى أنه لم يعد له تواجد فعلى الآن والمنطق العملى يقول إن التنظيم الذى تطارده كل أجهزة المخابرات فى العالم منذ عدة سنوات ودخلت معه أقوى دولة فى العالم عسكريا فى مواجهة مباشرة قد انتهى ولكن نقول إن فكره مازال موجودا وأدبياته ماتزال حاضرة وليس القاعدة وحدها ولكن الفكر التكفيرى عامة موجود ويمكن أن تعتنقه أى مجموعة جديدة وفى رأيى أن الجماعات التى تعاملنا معها فى السنوات الماضية من الجهاد والجماعة الإسلامية وغيرها قد تهاوت بنسبة ٩٥٪ ولا يمنع هذا من وجود بعض الخلايا غير المنظمة أو الأفراد الذين قد يتأثرون بهذا الفكر.

ولذلك أنادى ومنذ سنوات بألا نفرح بالاستقرار الأمنى الموجود فى مصر لأنه كان له ظروفه التى ساهمت فى هذا الاستقرار ولا يمنع هذا من وجود خطة علمية مدروسة يقوم عليها متخصصون لاجتثاث جذورها من خلال تصور عقائدى فكرى لدى الدول العربية والإسلامية بصفة عامة بتعاون شفاف لتنقية الفقه الإسلامى من الأخطاء التى وقع فيها المنتمون للجماعات والرد عليهم بالشرع والأسانيد لتفنيد ما يعتنقونه.

● وكقراءة أولية للحادث الذى لم ينكشف الكثير عنه حتى الآن حدثنا الدكتور اللواء محمود خلف الخبير الاستراتيجى خاصة بعد أن تحدثت معه بشأن الحادث الذى وقع فى نفس المنطقة منذ شهر تقريبا عندما طعن شاب مختل عقليا اثنين من السائحين فهل يعد ذلك الحادث مؤشرا لما حدث فى شارع جوهر القائد؟

● دعينا من البداية نتفق على أنه من المستحيل الوصول إلى فرضية منع الجريمة حتى فى مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية وحادث جوهر القائد يبدو من ملابساته بأنه عملية فردية تماما يمكن لأى شخص مخبول أن يقوم بها فهى عملية تمت فى منطقة تجارية سكنية مزدحمة بها مصريون وهو كهدف يبدو مختلفا تماما عما حدث فى عملية طابا مثلا التى أعطتنا مؤشرا منذ البداية عمن هو الفاعل.

وعلى ضوء معلوماتنا التى وصلتنا حتى الآن لا نستطيع أن نجزم من وراء هذا الفعل ولكن من خلال قراءتنا لواقع الجماعات سابقا يبدو الأمر مختلفا فالتنظيم لابد وأن يكون وراءه هدف وهو ما لم يتحقق فى مثل هذه العملية.

وهناك احتمال مرجح خاصة مع الأخذ بمقولة مقتل المنفذ فى الحادثة فقد يكون الشخص الذى نفذ الحادثة لا يعلم ماذا يحمل معه وهو أمر وارد أن يكون مجرد حامل طلب منه توصيل ما فى يده إلى مكان ما. وفى هذه الحالة قد يقف وراءه تنظيم ما وإذا كان يعلم ما يحمله فقد يكون العمل نتيجة خلل عقلى أو ضغوط نفسية مختلفة وعامة مازلنا مبكرين كى نصل إلى معرفة ما حدث بالضبط.

وهل يعنى ظهور تنظيم غامض لا يعرف عنه شئ إعلانه مسئولية الحادث وبأن منفذه أبوعلاء المصرى شيئا خاصة فى فوضى ظهور التنظيمات الأخيرة على شبكة الإنترنت.

أكثر ما نستطيع أن نصفه بها هى إنها فوضى بالفعل فعندما نتحدث عن تنظيم فهذا يعنى نظاما واتباعا وأهدافا وسياسة ونتيجة للأعمال التى يقومون بها ولابد أن يتولى التنظيم بعد ذلك لاتباعه النتائج التى حققها ليستغل ذلك فى تجنيد اتباع جدد.. ولا يمكن أن نتغاضى أبدا عن أن الهدف من التفجير هو بمثابة الإعلان عن المطالب التى تبدو غير حقيقية فيما ذكره بيان الجماعة المذكورة (من أنها ثأر لشهداء الظلم والمعتقلين والثأر من أمريكا وأمثالها من كل القوى الاستعمارية للمسلمين المستضعفين فى العراق وفلسطين وغيرها).

وهو ما يحدث تضاربا ما بين ما أعلنته تلك الجماعة الغامضة وبين ما حدث بالفعل.

ويبقى أن نقول إن معرفة من هو المستفيد تدلنا على من هو الجانى خاصة بعد انتشار كثير من الشائعات التى أقل من أن توصف به بأنها غير معقولة على الإطلاق ويظل هناك الكثير لنعرفه فى الأيام القادمة.